

ملخص تنفيذي

تعتبر الإساءة الجنسية على الأطفال، من المشاكل الخطيرة التي تمس حقوقهم على مختلف المستويات النفسية والاجتماعية. تتناول هذه الدراسة ظاهرة الإساءة الجنسية على الأطفال في لبنان، وقد أعدتها جمعية دار الأمل بالتعاون مع وزارة الشؤون الاجتماعية - المجلس الأعلى للطفولة ومنظمة دياكونيا وجمعية إيكبات - فرنسا .

تهدف هذه الدراسة إلى الانتقال من العمل على الإساءة الجنسية كحالات فردية إلى العمل عليها كظاهرة اجتماعية عامة وذلك بهدف تقدير حجم انتشار الإساءة الجنسية في لبنان وتقصي أسبابها وتنوع أشكالها وتوزيعها الجغرافي والعوامل المؤثرة فيها، وتهدف أيضا إلى كسر حاجز السرية والخوف والشعور بالعار الذي يلف هذه الظاهرة وإلى فهم أسباب ثقافة الصمت السائدة، ومحاولة تحديد هوية المعتدي وأسلوبه في "اصطياد" الطفل مما يساعد كثيرا في توعية الضحايا المحتملين وفي تفعيل استراتيجيات الحماية. هدفت هذه الدراسة أيضا إلى رصد الأطفال الذين يتمتعون بمستوى عال من الوعي ويعرفون كيف يدافعون عن أنفسهم، ومتى ولمن يتوجهون ، خلافا للأطفال الذين يسهل استدراجهم بحيث أن أغلب استراتيجيات الحماية يجب أن تنصب عليهم.

كذلك فقد جهدت هذه الدراسة إلى التعرف على رأي الأطفال في الخدمات المتوفرة من خطوط ساخنة ونشاط للجمعيات، وتوثيق توصياتهم بغية تصويب الخدمات من الناحية النوعية والتخصصية وترسيخ وتفعيل مبادئ متعلقة بالوقاية والحماية الواجب اعتمادها من قبل الدولة والجمعيات الأهلية.

استهدفت عينة الدراسة من خلال استبيان مكون من ٧٤ سؤالا. وتتألف العينة العشوائية من ٢١٦٢ طفلا من الجنسين، ومن كافة المحافظات ومن مختلف الجنسيات والأديان والشرائح الاجتماعية، ومن الفئات العمرية الأكثر تعرضا (٩ - ١٧ سنة)، كما استهدفت مختلف أنواع المدارس والفصول الدراسية لهذه الفئات. وتألقت العينة أيضا من الأطفال العاملين ومن غير الملحقين بالمدارس والمنتسبين إلى الجمعيات الأهلية. وقد تم اعتماد منهجية مركبة متعددة المراحل تسمح لنا بالقول بأن العينة لها صفة تمثيلية لمجتمع البحث. وكذلك فقد تم استهداف ١٢٠ طفلاً تراوحت اعمارهم بين ٧ - ٨ سنوات يخضعون لنفس متغيرات عينة الدراسة الكمية، وينفذون أنشطة متخصصة ضمن ١٠ مجموعات مركزة.

بيّنت الدراسة الميدانية أن ٤.١% من أطفال العينة قد تعرضوا لإساءة جنسية خلال العام ٢٠١٣، وهي نسبة متدنية بعض الشيء نظرا لحساسية الموضوع وللحرج الذي يسببه، وأن ٤٧.٢% من الضحايا يرتادون مدارس رسمية، و ١٩.١% هم من غير الملحقين بالمدارس، و ١٨% هم من العاملين، وأن أعلى مستويات الإساءة الجنسية على الأطفال وقعت في الشمال (٣٣%) ثم في الجنوب (٢٢%) وأدناها في النبطية (٧%). وأشارت نتائج الدراسة أن نسبة الإناث في العينة المعرضة لإساءة جنسية بلغت ٥٣.٩% فيما بلغت نسبة الذكور ٤٦.١%.

أما بالنسبة للإساءة الجنسية الأولى والمرحلة العمرية التي تواتر فيها تعرض الإناث والذكور لهذه التجربة، فهي بدت متقاربة جدا بين الجنسين وامتدت من عمر ١٠ إلى ١٤ سنة (٥٩.٦%) . وقد احتكرت هذه المرحلة (١٠-١٤ سنة) ٥٨.٥% من نسبة التعرض للإساءة الأولى لدى الذكور و ٦٠.٤% لدى الإناث. والملفت أننا نجد أن ٤.٩% من الذكور قد اختبروا إساءة جنسية قبل سن ٦ سنوات فيما شهدت المرحلة العمرية ٦ - ٩ سنوات تعرض مضاعف للإناث مقارنة بالذكور (١٦.٧% مقابل ٧.٣%). وأظهرت الدراسة أن الإساءة الجنسية الأولى تقع على الطفل من قبل شخص ينتمي إلى محيطه العائلي (٤٩.٤%). وبرزت فروقات مهمة بين الذكور والإناث في ما يتعلق بهوية المعتدي الأول وبمكان الإعتداء. ففيما احتكر المنزل ومحيطه ٦٦.٧% من الإساءات الجنسية الأولى الواقعة على الإناث، احتلت الامكنة العامة النسبة الأعلى لدى الذكور (٤٨.٨%).

وقد أظهرت الدراسة أن العمر الوسطي للتعرض لإساءة جنسية لا يتمايز كثيرا بين الذكور (١٤.٣%) والإناث (١٤.٢)، وهو يتمحور حول سن الرابعة عشرة للجنسين، وأن ٣٤.٨% من المعرضين للإساءة

جنسية قد اختبروا هذه التجربة لمرة واحدة وأن ٣٨.٢% قد تكررت الإساءة الجنسية الواقعة عليهم من قبل نفس المعتدي، وأن أكثر أشكال الإساءة الجنسية انتشاراً هي الشفهية (اللفظية) حيث أن ٤٣% من الضحايا أرغموا على سماع كلمات جنسية، سواء مواجهة أو عبر الهاتف أو على سماع نكتة أو قصصاً ذات دلالات جنسية أو أحاديث ذات معانٍ جنسية، تليها وبنسبة متساوية الإساءات الجنسية التمهيدية (٣٠%) والتي تتضمن إرغام الطفل على تحسس ومداعبة المناطق الحميمة وكل مكونات العلاقة الجنسية ما عدا الفعل الجنسي الكامل (الإختراق)، والإساءات الجنسية البصرية (٣٠%) كإرغام الطفل على مشاهدة صور وكتب ومجلات فاضحة وأفلام إباحية.

أما في ما يتعلق بهوية المعتدي وموصفاته وأسلوبه، فقد حاولنا في هذه الدراسة تحديد سمات المعتدين جنسياً على الأطفال، فخلصت النتائج إلى أن أغلب الجناة هم ذكور، عازبون، يتوزعون بنسب مختلفة على فئة المراهقين (دون ١٨ سنة) والراشدين (العمر يتعدى ١٨ سنة). ويفضل الجناة من المراهقين الإساءات الجنسية البصرية (٥٤%) أي استدراج الضحايا لمشاهدة صور وأفلام إباحية، بينما يفضل الراشدين الإساءات الجنسية عبر الإنترنت (٦٣%) يليها الإساءات الجنسية التمهيدية (٤٨%) بما تتضمنه من تحسس وملامسة حميمة تحاكي ممارسات الفعل الجنسي. والملفت إفساح أطفال دون سن الثانية عشرة بأنهم تحولوا بدورهم إلى متحرشين بأطفال آخرين (٣.٤%). ويجزم ٢٨.١% من الذين تعرضوا لإساءة جنسية بأن الذي أساء جنسياً إليهم قد تحرش أيضاً بطفل آخر، وإن المعتدي تعاطى الكحول (١١.٢%) أو المخدرات (٦.٧%) بحضورهم. وأكدت الدراسة الميدانية أن وسائل الإقناع التي لجأ إليها الجاني لاستدراج الطفل هي الإيحاء له بأنه مميز وأنه سيعلمه أشياء يعرفها الكبار، وهذا يلقى الضوء على تفاصيل مهمة لاستخدامها في برامج الحماية من الإساءة. ولا نلاحظ أسلوب موحد للجناة، ولكن الطاغى هو نزويتهم ونظرتهم إلى الطفل وكأنه "غرض جنسي" لتحقيق لذاتهم.

وقد أكدت الدراسة الميدانية على وجود عوامل خطر محيطة بالطفل كالموضعات الأسرية التي تنذر بالخطر، كونها توفر الأرضية الصالحة للإساءة الجنسية بحق الأطفال. فقد أظهرت الدراسة بأن مخاطر التعرض لإساءة جنسية ترتفع لدى الأطفال الذين تتوفر لديهم بعض العوامل المتعلقة ببيتهم أو بظروف عيشهم أو بمكونات تواصلهم مع الآخرين. فمثلاً تبين أن ٥٦.٢% من الأمهات و ٤٩.٤% من آباء الذين تعرضوا لإساءة جنسية هم أميون، وإن ١٤.٦% لم يتجاوزوا مرحلة التعليم الابتدائي (لكل من الأمهات والآباء). وتبين أيضاً ارتفاع نسب البطالة لدى آباء الأطفال (٣٦%)، وسيطرة أجواء المشاحنات الزوجية بين الوالدين (٤٧.٢%) منهما بصرخان على بعضهما بصوت مرتفع، على مسمع من أطفالهما، و ١٥.٧% منهما يلجآن إلى الشتائم المتبادلة و ١٢.٤% يصلان إلى الضرب المتبادل). والملاحظ أيضاً ارتفاع نسبة الأقارب وأصدقاء العائلة الذين ينامون في منزل الطفل (٦٢.٩%)، إما أحياناً ٥٦.٢% أو دائماً ٦.٧%. فإذا ما استبعدنا الإساءات الجنسية الأولى، وأحصينا نسبة الإساءات الجنسية اللاحقة الواقعة على الأطفال في منازلهم، لوجدنا أن ١٣.٥% منها حصلت حصراً في منزل الطفل، بغض النظر عن جنسه، وإن ٢٢.٩% منها قد وقعت على الإناث في منازلهن، أي في المكان الذي يفترض فيه أن يكون الأكثر مبعثاً للأمان والإطمئنان. ولكن ما هو ملفت للنظر هو التدني الهائل لمستوى وعي الأهل في ما يتعلق بتقتهم العمياء بمحيطهم من جيران وأصدقاء وأقارب ومعارف، ونقل هذه الثقة المفرطة إلى أطفالهم عبر السماح لهم، دائماً أو أحياناً، بالنوم عندهم لوحدهم (٥٠.٦%) أو بالذهاب معهم بنزهة (٦١.٨%) أو بزيارتهم بمفردهم (٦٧.٤%). وقد أشرنا أعلاه بالنسبة للإساءات الجنسية الأولى إن النسبة الأعلى منها تأتت على الأطفال من العائلة ومحيطها (٤٩.٤%)، خصوصاً على الإناث (٦٦.٧%) مما يعكس تدني وعي الأهل للمخاطر المحدقة بأطفالهم. وكذلك فقد أظهرت الدراسة أن هنالك تلازم قوي بين وقوع الإساءة الجنسية على الطفل وبين تعرضه للعنف الجسدي والمعنوي. وقد لفتت الدراسة بشكل واضح إلى أن نسبة مرتفعة من الذين تعرضوا لإساءة جنسية يعيشون أيضاً أجواء من العنف الجسدي (٥٨.٤%) أو المعنوي (٧٠.٤%)، وأن الشخص الذي عرضهم للعنف الجسدي هو من عائلتهم (٥٥.١%) أو من مدرستهم (٢٤.٧%) أو من عملهم (١.١%) وكذلك الأمر بالنسبة للعنف المعنوي الذي تأتى على الأطفال من أحد أفراد أسرته (١٩.٥%) أو من مدرستهم (٣١%) أو من عملهم (٢١%).

أما بالنسبة للمجموعات المركزة، فقد تم استخلاص نتائج مشابهة في كثير من المواضيع. إذ أشار الاطفال إلى تعرضهم لعنف جسدي ومعنوي، وأبدوا جهلهم لكثير من المواضيع التي تتعلق بالإساءة الجنسية وكذلك بآليات التبليغ وشبكات الأمان المتوفرة. فلا معلومات كافية لديهم عن الخطوط الساخنة وعن طرق الحماية الأخرى.

وكذلك فقد أظهرت الدراسة ان النسبة العالية من الاطفال الذين وقعوا ضحية اساءة جنسية لجأوا الى الصمت ولم يبلغوا احداً بما حصل معهم (٤٩.٤ %). وما هو مثير للقلق أيضا في نتائج الدراسة هو تدني مستوى وعي اطفال العينة بشكل عام. فإذا ما حاولنا تكوين صورة اجمالية عن مستوى وعي الاطفال من خلال نتائج الدراسة، فإننا نلاحظ أن الذين تعرضوا لإساءة جنسية يظهرون تهورا أكبر (٢٣.٦%) من الذين لم يسبق لهم أن تعرضوا (١٠.٣%)، وكأنهم لم يتعلموا شيئا من تجربتهم السابقة، خصوصا عندما يتعلق الأمر بالمخاطر المتأتية من العائلة. ولا نلاحظ فروقات مهمة في التعامل مع الغرباء، إذ أن المجموعتين يتصرفان بحذر كبير مع الغرباء (٩٦.٦% للمجموعة المعرضة لإساءة و ٩٧.٤% للمجموعة غير المعرضة). وبالمقابل فإن الفئة التي تعرضت للإنتهاك تتصرف بكثير من الارتباك مع معارفها ورفاقها وأقرباءها، ولا تزال تقوم بمغامرات غير محسوبة النتائج (٢٨.١% مقابل ٢٥.٩% للمجموعة غير المعرضة لإساءة جنسية). وكذلك الأمر بالنسبة لقبول الهدايا، فهي أكثر تجاوبا (١٠.١%)، من المجموعة غير المعرضة للإساءة (٦.٩%)، مع عروض الهدايا لقاء مداعبات حميمة من أشخاص تعرفهم.

بالإضافة إلى ذلك فإن المجموعتين (المعرضة وغير المعرضة لإساءة جنسية) تفتقدان إلى معلومات حول التحرش الجنسي بالاطفال (٣٦% للمجموعة المعرضة لإساءة و ٤٥.٣% للمجموعة غير المعرضة) وإلى المهارات المناسبة لحماية الذات (٢٢.٥% للمجموعة المعرضة و ٢٠.٤% للمجموعة الثانية) وإلى المعرفة بوجود قانون لحمايتهم (٥٣.٩% للمجموعة المعرضة و ٤٩.٥% للمجموعة الثانية) وبوجود جمعيات وخطوط ساخنة للإبلاغ عن الانتهاك (٦٨.٥% للمجموعة المعرضة لإساءة جنسية و ٥٩.٥% للمجموعة غير المعرضة). وهم على كل حال يفضلون عدم الإبلاغ (٤٦.١% للمجموعة الأولى و ٣٣.٣% للمجموعة الثانية). كل هذه المعلومات تشير إلى تدهور مستوى الوعي واليقظة عند اطفال العينة بشكل عام. وقد تبين كذلك أن هناك ترابط إيجابي بين بعض الوضعيات الأسرية التي تجعل الحياة الأسرية أكثر صعوبة وأوضاع الاطفال فيها أكثر هشاشة وبين التعرض لإساءة جنسية كتغيير الطفل لكثير من المدارس وعيشه في أجواء أسرية مشحونة بالخلافات ولجوء الأهل إلى العنف الجسدي والمعنوي لحل مشاكلهم فيما بينهم ومع أطفالهم وتدني مستوى الوعي أمام المخاطر والعمالة وغيرها...

وقد بينت الدراسة أن هناك مجموعة من الاطفال في العينة لم يتعرضوا بعد لإساءة جنسية ولكن ظروفهم تتوفر فيها بعض هذه المكونات والمتغيرات مما يشكل أرضية مناسبة لانزلاقهم من ضحايا محتملين إلى ضحايا فعليين، وهذا يعني أهمية بناء استراتيجيات للوقاية والحماية من العنف الجنسي استنادا إلى النتائج المستخلصة، وتركز برامج التوعية ليس فقط على توعية الأهل وإنما أيضا على تزويد الاطفال بالمعرفة حول حقوقهم في حماية أجسادهم وحول المخاطر، وشبكات الأمان الموجودة في المجتمع وفعالية هذه الإجراءات لحمايتهم، وكذلك حول ايجاد خطط وقائية واستباقية تضمن عدم تحول هؤلاء الاطفال إلى ضحايا. من هنا أهمية اعتماد سياسة الشراكة والتكامل والتنسيق والمناصرة بين القطاع الرسمي والخاص بغية حث المجتمع على اعتماد المراقبة الذاتية وعلى مكافحة الإساءة الجنسية في الظروف الطبيعية كما في الحروب وحالات الطوارئ.

وقد عرضت الدراسة مجموعة واسعة من التوصيات واستراتيجيات المكافحة للعنف الجنسي على الاطفال وذلك على صعيد الدولة والأسرة والطفل.